اللقاء الأول الافتراضي

الخميس ٩ نيسان\ابريل ٢٠٢٠- عبر زووم

في يَوم الخميس ٩ نيسان\ابريل ٢٠٢٠ السَاعة ٣:٠٠ بعد الظهر، عقد **البيت العربي لتعلّم الكبار والتنمية "عهد"** لِقاءا أون لاين على ZOOM، تضمن مواضيع تَهُم تعلم الكبار والتنمية في ظِل الظُروف الرَاهنة التي تواجهُ مَنطِقتنا بحضور حوالي ٣٥ مشارك(ة).

ادار اللقاء أ. رفعت الصباح رئيس "عهد". قدم د. زاهي عازار محاضرة بعنوان: **" أية متغيرات ثقافية تربوية ... بعد كورونا؟ ".** وأهم المحاور التي تطرق اليها: اولاً: جائحة كورونا المستجدة والقطيعة المعرفية وتطال الثقافة والتربية. ثانيًا: نهاية العولمة وبدايات عولمة أخرى وتداعياتها على التربية ككل. ثالثًا: نحو "تعليم ... بلا تربية"، والتداعيات على التربية والتعليم النظامي، وتعليم\تعلم الكبار، التعلّم عن بعد، والتعليم بواسطة الذكاء الاصطناعي. ورابعًا: أزمات المجتمع المدني العربي وامكانيات استنهاضه. تلاها أسئلة ومداخلات من المشاركين.

وعرضت أ. السي وكيل على الحاضرين مسار الاكاديمية العربية لسنة ٢٠٢٠، وتلتها أ. علا عيسى فكرة ومضمون المجلة الالكترونية لعهد، مؤكدة انه سيتم التواصل مع الأعضاء ليساهموا في محتوى المجلة.

كلمة د. زاهي عازار

أثرت الأوبئة على تاريخ حضارات، عدة حضارات تعرضت للأوبئة وكانت سببًا في سقوطها، حضارات وإمبراطوريات نتيجة الأوبئة وتغيرات كبرى سيما في المسارات السياسية والاجتماعية منها: الإمبراطورية الرومانية، والبيزنطية.. كلها هوت بأوبئة. الوباء يعطل الحياة والمسارات كلها ليس على المستوى العسكري والسياسي فقط، وإنما أيضًا على المستوى الفكري والتربوي؛ فتتحلل إمبراطوريات وتنشأ أخرى، وتتحلل مجتمعات وتنشأ أخرى، البشرية لا تنتهي.

نريد أن نخفف في هذه الظروف من التنبؤات، فلنركز على قراءة الواقع وتحليله، لا نستطيع التنبؤ إنما نحكي عن تحولات، ولن نستطيع الحكي بدقةٍ عن المستقبل، نحاول أن نضع بعض الركائز لملامح المستقبل، وهناك ثلاثة محاور نتناولها في هذا الشأن :

المحور الأول: القطيعة المعرفية

هي قطيعة في كل شيء وباء **كورونا** خرب العالم في مدة وجيزة: شهر أو شهرين، هذا العالم ما كان له أن يخرب؛ فالحداثة أعمتنا عن واقع الحياة، أعمتنا عن هشاشة الحياة الرأسمالية الجديدة التي أبهرتنا، لم نكن نتخيل الوصول لهذا الوضع بسبب هذا التقدم العظيم، هيبة الدول الكبرى سقطت، الاقتصاد هوى، في دول كنا نظنها أقوى من ذلك بكثير!

التحليل المبني على بعض التغيرات أسميناها القطيعة المعرفية، وهي في كل الأعراف قناعات تهوى وتسقط ، **والمجتمع ككل على المستويين: الفردي، والجماعي يفكر في هذه القطيعة ماذا سيصير؟ وأي مستقبل ينتظرنا؟**

اليوم ما نعيشه نتاج لغة الحياة الاقتصادية، المجتمع يهوى اقتصاديًا، وعلى واقع هذا الانهيار هناك سقوط للسياسة بشكل عام، هناك تحولات _ بلا شك _ سبقت وباء كورونا، وجاء هذا الوباء يكرث لهذا الواقع الجديد، 50% من الوظائف المعروفة بدأت تختفي وهذا رقم هائل ومع كورونا من 70% إلى 75% في سبيلها للاختفاء، 200 مليون وظيفة اختفت حتى الآن في ظل كورونا.

هذه القطيعة المعرفية بدأت اقتصادية وصارت سياسة واجتماعية أيضًا وبخاصة معرفية، نحن نقف اليوم حاملين عدة علامات للاستفهام عن كل شيء؛ وهذا يصح تربويًا وعلى كل المستويات الاجتماعية أيضًا. هشاشة الأنظمة في الغرب كسرت الحلم الذي كان يعيشه العالم _ حتى العالم الثالث _ نحو التحول للأنظمة الديمقراطية، خلال هذه الأزمة ظهرت أنها كانت مترددة في الاختيار، أو حسمت اختيارًا أوليًا لإنقاذ الاقتصاد بدلا من إنقاذ حياة الناس؛ فأمريكا، وبريطانيا، وألمانيا ... "خلوا كورونا تفوت ولا توقف عجلة الاقتصاد"، إلا أنها تراجعت أمام إرادة الناس الذين يرفضون الموت! وفي نفس الوقت هذه الدول تهوى سياسيًا. هناك توجه للداخل، ما عاد هناك توجه نبيل للفكر ما الديمقراطية؟ التوجه صار للداخل كل دولة تتوجه لشعبها، وكل مجموعة داخل هذا الشعب تزداد توجها لذاتها، هناك توجه للفكر الانغلاقي التطرفي.

المشروع الأوربي آخذ في التفكك والتشكيك في بعضهم البعض، هناك دول كبرى تسرق وتمارس القرصنة في المساعدات الطبية! البطالة المتزايدة في ظل هذه المرحلة الجديدة الذي يعيشها الاقتصاد في هذه الدول كسرها كليًا، بريق هذه الأنظمة الغربية هوى سياسيًا، وأيدولوجيًا وتربويًا.

المحور الثاني: ما الذي يدور اليوم عمليًا؟

في خضم أزمة كورونا عمليًا _ هناك صراع يدور حول مَن هو المنتصر؟ المنتصر سيكون هو محور العولمة الجديدة. ما نشهده هو نهاية عولمة، وولادة عولمة جديدة؛ نهاية عولمة هي نهاية هيمنة وسيطرت هذا الغرب، فالغرب بدأ هذا التساقط منذ فترة، أوروبا تغرق في مشاكلها، وأمريكا لم تعد لها تلك القدرات المالية الضخمة وتنسحب حاليًا من العالم من هنا وهناك، وغارقة في مشاكل ليس لها أول من آخر، واللحمة بين أوربا والولايات المتحدة في أسوء حالها، هناك ما يسمى حلف الناتو أو حلف الأطلسي هو في أسوأ حالاته، أوربا تدرس حلف جديد غير الناتو من قبل كورونا. من يقضِ على كورونا سيكون محور العولمة الجديدة، والصين مرشحة لذلك اقتصاديًا؛ فقدرتها صارت فائقة، وهي ستلعب دور المنتصر على كورونا في حين أن العالم مازال يتخبط. ستلعب الصين دورًا قويًا اقتصاديًا وسياسيًا وهم بدأوا يروجوا لذلك على مستوى العالم، فالإعلام الصيني يدفع في هذا الاتجاه ويتجاوز بكثير، على ما يبدو هناك لعبة ستكون بين نصفين حول محور العولمة الجديدة وكورونا تواكب هذا التغير، وكورونا تكلل انتصار الصين عليها؛ لتكون قائدة للاتجاه الجديد للعولمة، فالصين لها علاقات قوية مع الأسيويين وبخاصة الهند، وكان هناك اجتماع لهذا الهدف بشكلٍ أو بآخر، والصين بدأت تهيمن على كثير من الدول الأفريقية، فالشركات الكبرى بالصين تدفع لهذا الاتجاه رغم وجود شركات كبرى بأمريكا، وقد تتحالف تلك الشركات معًا لبناء العولمة الجديدة، في هذه المرحلة الجديدة يبدو هرم أعلاه شركات ضخمة اقتصاديًا، هذه الشركات أكبر من الدول بآلياتها الضخمة، هذه الشركات ستكون أكثر ميلاً إلى الدولة والتي ستكون سلطة بمعنى التحكم بالناس وليس لخدمة الناس نحكي بالحد الأدنى والحد الأقصى.

العالم العربي في مأزق وخاصة أن إنتاجه ضعيف وتأثر كثيرًا بل ومن أكثر المناطق التي أضيرت **بكورونا**، ففي تقرير **(الأسكوا)** الآن هناك من 4 : 5 مليون عاطل عن العمل بالدول العربية غير دول الخليج وهذا إلى تزايد، إضافة إلى مرحلة أفول النفط والحاجة إليه عالميًا وتدني أسعاره حتى وصلت إلى أقل من ثلث ما كان عليه، وهذا كله يلعب دورًا في تردي الوضع العربي اقتصاديًا في ظل الإنتاج الضعيف.

المحور الثالث: نحو تعليم بلا تربية

الشائع التربية والتعليم، **ماذا يصير عمليًا ضمن كل هذا الجديد؟**

النظام العالمي القديم يتداعى، تحاول الدول بسرعة أن تواكب نظام العولمة الجديدة، ولا يمكننا التكهن بذلك، الأكيد هناك سقوط للمجتمعات، يعيش العالم على حساب من 5:7 دول منتجة على مستوى العالم وتعمل على فتح أسواق لها، والعالم الثالث يساعدها كي يبقر سوقًا لهذه الدول، ويساعدها أحيانًا في الإنتاج، هذه الدول في التحول الاقتصادي الجديد ستتبعه بشكل أكثر تطرفًا، (السيناريو) واضح في العالم الثالث الدول

الفقيرة ستزداد فقرًا في ظل هذا (السيناريو)، وفي ظل هذا (السيناريو) للأسف التربية ليست مفصولة عن هذا التوجه، بل ستتبعه، لن يوجد أحد مفصولاً عن هذه المتغيرات والتربية ستدفع الثمن ولن يكون لها أولوية.

التربية ثلاث كتل أساسية:

كتلة التعليم الخاص النخبوي: وهذا لخدمة السلطات المحلية والعالمية، ويخص الميسورين ولكنه باقٍ بعالم يخصه.

كتلة التعليم الرسمي: وهذا هو المصيبة! الأزمات الحالية ستتعمق، المدرسة الحكومية ستزداد أزمة المعلمين فيها، التوجه لعدد أقل من المعلمين، عدم جعل الأولوية للكفاءة، عدم التأمين الوظيفي للمعلم، أزمات المعلمين ستتضاعف؛ نتيجة الشح المالي، والرؤية أيضًا، سيزداد التسرب المدرسي الهائل في مجتمعاتنا.

كتلة تعليم وتعلم الكبار:

بسبب الكتلتين السابقتين؛ سيزداد كثيرًا عدد الكبار الذين بحاجة للتعلم؛ بسبب زيادة نسب التسرب المدرسي، ولكثرة الذين لن يدخلون المدارس بسبب ضروريات العمل من أجل الحياة، وبسبب الأمية العادية أيضًا، في كل بلد ستزداد البطالة بل ستتضاعف على الأقل، وهناك الأمية غير المباشرة الذي يجب وضعها في هذه الكتلة، إذا كانت هذه الكتلة 40% ستصبح الثلثين. العاملون بمجال تعليم وتعلم الكبار عندهم تحديات كثيرة بسبب هذه المتغيرات ما بعد كورونا، فالفقير سيزداد فقرًا وتتأثر به العملية التعليمية.

التعليم عن بعد سيزداد في أزمة كورونا، بعض الدول بدأت التعليم عن بعد بسبب كورونا وهذا محدود جدًا ولا ينجح إلا استثناءً؛ بسبب السرعة، وأنه يحدث أثناء الطوارىء، فهو تدبير سريع وغير كافٍ ويتم بحد أدنى، التعليم عن بعد ضمن الاستثناء وغير مقدر له النجاح؛ بسبب الظروف والإجراءات السريعة، وإجبار المعلمين على اتباع هذا النظام.

من المهم أن نعبر هنا عن فكرة جديدة. قبل كورونا هناك عدد من المدارس الخاصة اعتمدت أنظمة تعليمية مأخوذة من أنظمة الذكاء الاصطناعي الجديدة، اليوم هناك خبرة محدودة تقوم بها هذه المدارس وتعتبرها ناجحة إلى حد ما! ما ستكتشفه الدول _ بالشكل أو بالتصور_أن التعليم بالذكاء الاصطناعي يحل مشاكل عديدة لها في ظل الفقر المتزايد، كان هناك صراع صيني أوربي أمريكي على بناء منظومات الذكاء الاصطناعي الذي لا يُجزأ كثيرًا؛ لأنه مشروع معقد ومتطور جدًا للهيمنة على الناس والحياة، عندنا انبهار

بالتكنولوجيا يمنعنا التعمق فيها! وهناك في الغرب من يتعمقون فيها من باب حقوق الإنسان، الذكاء الاصطناعي هو حل لفقر الدول وموازناتها المخصصة للتعليم، فهو أرخص كلفة، ففي ظل التعليم بالذكاء الاصطناعي لا مرتبات للمعلمين، ولا موازنات للمدارس، تاريخك يؤمن على شكل دروس بالذكاء الاصطناعي، حتى الإدارة. الذكاء الاصطناعي نظام متكامل قليل الكلفة فهي تمثل فيه 15% من ميزانية الدول الحالية، أي دولة تستخدم الذكاء الاصطناعي توفر 85% من ميزانيتها، وهذه تمثل حلولاً تدريجية للمستقبل _ للأسف_ بالتوازي مع هيمنة العولمة الجديدة والتي تمثلها الصين.

أوربا حيدت وأمريكا خسرت في هذا السباق أمام الصين في مجال الذكاء الاصطناعي، والصين تمتلك شركات عملاقة قادرة على بناء هذا النظام من أول المحمول حتى التعليم والتعلم بكل أشكاله ومناهجه، كل شيء جاهز مناهج يمكن شراؤها بأسعار غير مكلفة، وبمرور الوقت تصبح رخيصة جدًا، الذكاء الاصطناعي يطرق كل الأبواب ودخل الغرب.

تعليم بلا تربية، يعني العمل على المخرجات غير الأكاديمية؛ لأنها تبني المجتمعات كالمواطنين، متصالحة مع المحيط وتخدمه؛ تخدم حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والمواطنة ... وسيكون كل ذلك مفصولاً عن التعليم؛ لذا أسميناه تعليمًا بلا تربية. هناك حد أدنى للسير في تعليم الذكاء الاصطناعي؛ شخصية المعلم ستكون منتهية أو ضئيلة جدًا، سيكون هناك بعض المشرفين أو المنسقين في عملية التعلم، أمام قوة الذكاء الاصطناعي وقوة السلطة في كل دولة تريد اعتماده سيكون المجتمع مجبرًا على قبول هذه الأنظمة والتفاعل معها! وستكون هناك مقاومة من المجتمعات لهذا الجديد. النجاح في الذكاء الاصطناعي سيكون على المجهود الفردي للطالب، والحاجة ستلبى من التعليم الخاص النخبوي.

أما ما يخص تعليم الكبار

الأمية ستزداد، والطالبون سيزدادون، آليات الذكاء الاصطناعي في تعليم الكبار ستكون جاهزة، أنت قد تشرف على علاقة المتعلمين مع هذه المنظومة لكنها منظومة متكاملة ومعقدة، ودولتك والحكومة سيوافقان عليها؛ لأنها أقل تكلفة وربما أقل مسؤولية، ستزداد مبالاة السلطات بالقطاع التربوي ككل والتعليم، ولكن ضمن هذه اللوحة القاتمة والتي هي نقمة كبرى إلا أنها تعتبر فرصة في تعلم وتعليم الكبار؛ لأن ضغط السلطات في هذا المجال سيكون قليلاً وتحكمه اللامبالاة، وستتضاعف في مكان ما فرص للعاملين في هذا المجال أن يعيدوا تجديد رؤاهم، فهناك إمكانية نعمة في التعامل مع هذا الواقع الجديد، الهدف سيكون واضحًا؛ لأن هذا الملعب حر، كل الناس مهتمة تربويًا وتعليميًا، يجب إعادة تأهيل هذا المجتمع الموازي للمبادرة المجتمعية.

ستقترب المسافة بين السلطات المحلية والدولية في مشاريع الهيمنة، ويمكن تحويل هذه النقمة إلى فرصة ضمن هذا التجديد بالرؤى في موضوع التفاعل الصحي، والمعرفي، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة ... وهو في ذات الوقت تمكين اقتصادي، إحدى تحديات التعلم التمكين الاقتصادي الحقيقي، وبعد ذلك يأتي الكلام على الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة بعناصره المختلفة.

ما إمكانيات استنهاض المجتمع المدني؟

الصورة ليست قاتمة كليًا، هذا الإنسان بالنهاية تسعى محاولات للهيمنة عليه لكن المجتمعات لا تقهر، وبها أشكال للمقاومة، هل المجتمع المدني وبخاصة في العالم العربي الذي أثبت أن عنده العديد من إمكانيات المقاومة (مباشرة وغير مباشرة) _ قادر أن يكون بمستوى هذا التغير المستقبلي؟ حكمًا المجتمع المدني العربي في طور التكوين، وهذا ليس سيئًا، فالمجتمع المدني بحاجة لثورة حقيقية في عقيدته ككل، المجتمع المدني _ للأسف _ جمعيات تتشكل قد تبدأ صادقة لكنها سرعان ما تلتزم بالمُموِل الذي يبحث عنها، لا يمكن أن نستمر على هذا المنوال، أي تشكيلات للمجتمع المدني بالنسبة للتمويل الخارجي؛ غالبًا ستشح التمويلات الخارجية، المنظمات الدولية التي نعرفها لن تكون لديها هذه القدرة بعد اليوم، ستضعف كثيرًا وستتجه نحو أولويات فقط، وستضعف تمويلاتها للمجتمع المدني وتشكيلاته.

ثورة المجتمع المدني لابد وأن تكون ثورة على الذات بداية وصادقة وصحيحة وتكون انطلاقة نحو اتجاهات شعبه، وتبحث عن تمويل خاص به، أولا يبحث عن الممولين الذين يتفقون معه ومع أهداف شعبه، نحن نحتاج لبناء عولمة مقاومة معه، هناك في المجتمع الغربي من يرفضون ما يدور عندهم. لا يمكن أن نطأطأ رؤوسنا من أجل التمويل في المستقبل، نحن لا نعرف الغرب ونتعامل معه ككتلة واحدة وهي متنوعة فيها الصديق والعدو للأسف! المجتمعات الفقيرة ليست لديها هذه الرؤية. ثورة المجتمع المدني أحد أبعادها اليوم حماية الحضارة التي تتمثل في: الحاجات، والفكر، وطريقة التفكير، والمكتسبات الحضارية والتاريخية هي كل شيء، هل المجتمع المدني يعي هذه التحديات؟ إنما يعيد نفس المسار الذي اعتاد عليه وإن كان فيه بعض الحسنات ولكنها ليست كثيرة لأن المجتمع المدني في بلادنا مازال مهمشا.

في هذه الثورة المتوخاة من المجتمع المدني يجب على هذا المجتمع أن يكون على حوار دائم مع الدولة أو السلطة، لا نستثني أحدًا ضمن هذه الرؤيا التي تبني الحوار الدائم مع الدولة أو السلطة الداخلية من ناحية، والبحث عن التمويل الداخلي أولاً، والاستمرار في بناء الشراكات والتشبيك داخل الدولة، على المستويين العربي والعالمي.

كلمة أخيرة

إن من يريدون استئصال التربية من التعليم _ وهم كُثرُ _ داخليًا وخارجيًا، واستئصال كل ما بني حتى الآن على مستوى ما أسميناه المخرجات التربوية، أو الثقافية غير الأكاديمية التي تعبنا عليها وحقوق الإنسان، والمواطنة... ويسعون لتسطيح التعليم وفصله عن التربية نقول: إن شعوبنا _ بعد كورونا _ هي الوحيدة القادرة على أن تواجه العولمة المقبلة، وأن تبني عولمتها مع كل الشركاء في هذا العالم، إن هذا التحدي هو تحدي لكل شعبنا وعليه أن ينجح عبر تَوَعٍ ذاتي وثورة ذاتية؛ تؤهله لجعل التربية والتعليم منطلقًا لمجتمع جديد، هو مجتمع مقاوم، وإذا كانت المقاومة شعبية؛ فهو سينتصر.

AHAED